مدينة كوثى (تل ابراهيم) موطن النبي ابراهيم الخليل عليه السلام

أ.م.د. عادل هاشم علي

كلية الآداب/ جامعة البصرة

يعد موطن النبي إبراهيم الخليل ﷺ من المواضيع الخلافية عند المؤرخين وهذا يرجع الى اختلاف الادلة التي يستندون اليها في اعطاء صورة دقيقة، ومع ذلك فان بعض الأدلة قد تكون مشتركة الا ان طريقة فهم كل فريق لها تختلف عن الاخرى ، وهذا ما نراه واضحا من خلال تبيان المواطن التي افترضت كموطن أول للنبي ابراهيم الخليل ﷺ.

لقد قيلت عدة اراء اصل النبي إبراهيم ﷺ الرافديني وقد دعم كل صاحب رأي رأيه بأدلة لغوية وكتابية وشواهد تاريخية. والمدن المفترضة قبالة مدينة كوثى كونها الموطن الاول للنبي الخليل ﷺ هي من الجنوب (اور السومرية) ومن الشمال (حران). وقبل الخوض في تفاصيل هذه الاماكن يجب التنبيه الى ان الاشارة الى أور أو حران عند العلماء متأتية من فهمهم للنص التوراتي.

- **فرضية مدينة أور السومرية وتفنيدها**

فيما يخص مدينة أور وكونها الموطن الاول للنبي إبراهيم ﷺ فقد كانت نقطة انطلاق هذا الراي من سفر التكوين الذي نعت المدينة بـ (اور الكلدانيين): " واخذ تارح ابرام ابنه ولوط ابن هاران ابن ابنه وساراي كنته امراة أبرام ابنه فخرج بهم من أور الكلدانيين. . ". وقد اعتبر انصار هذا الراي انها مدينة أور السومرية والتي تقع اطلالها اليوم على بعد ١٧ كم جنوب غرب مدينة الناصرية ونهر الفرات في منطقة تعرف اليوم ب (المقير) شرقي تل العبيد، والى الشمال الغربي من بلدة سوق الشيوخ، والشمال الشرقي لبلدة ابو شهرين (اريدو).

بدأ التنقيب في هذه المدينة (اور)عام ١٨٥٤ من قبل القنصل البريطاني في البصرة (ويلكوكس) وقد عثر على بعض النصوص التي بينت موقع المدينة. وفي عام ١٩٢٢ بدأت بعثة علمية مشتركة من المتحف البريطاني وجامعة بنسلفانيا الامريكية برئاسة السير ليونارد وولي باعمال التنقيب في المقرة الملكية، وقد كشفت هذه الاعمال عن تاريخ المدينة منذ بداياتها الاولى وحتى الفترات المتاخرة من تاريخها القديم الذي ينتهي مع سقوط سلالة بابل الحديثة ٥٣٩ ق. م. كما اوضحت التنقيبات ان مدينة أور كانت من المدن التي ضمها سرجون الأكدي الى حدود مملكته. ومن الجدير بالذكر انها كانت تمثل قطبا للمعارضة السومرية ضد حكم الأكديين (الجزري)[1]؛ ثم غدت مدينة ثانوية في فترة الغزو الكوتي حتى ظهرت فيما بعد على مسرح الاحداث واصبحت عاصمة لأخر امبراطورية سومرية في عهد مؤسسها أور نمو (٢١١٣ – ٢٠٠٦ ق. م.).

ما يهمنا هو التنقيبات التي اجراها السير ليونارد وولي وما نتج عنها في تصوراته. اذ تأتي الزقورة في مقدمة اكتشافاته وهي عبارة عن بناية مدرجة تتكون من ثلاث طبقات أو مصاطب، كان يعلو المصطبة الثالثة معبد صغير خصص لعبادة اله مدينة أور (سين = ننار) اله القمر. وقد ربط السير وولي هذا البرج المدرج مع (برج بابل) الوارد في سفر التكوين تفي الفصل الذي يسبق الحديث عن قصة إبراهيم ﷺ؛ اضف الى ذلك العثور على تمثال صغير (١٧ بوصة) على شكل كبش صغير مقدم كقربان أو تضحية. وهو واحد من العديد من التماثيل التي تستخدم في الطقوس الدينية اليومية آنذاك. وقد ربط الاستاذ وولي هذا التمثال مع النبي إبراهيم ﷺ وطلب الله تعالى اليه بذبح ابنه والتضحية به. فضلا عن ذلك عثوره في القسم الجنوبي من المدينة على حي سكني يحوي على بيوت ترقى الى عهد آيسن لارسا (العصر البابلي القديم) كان من بينها بيت يبعد حوالي ٣٠٠ م من المعبد المركزي في المدينة اسماه الاستاذ وولي (بيت إبراهيم).

[1] فوزي رشيد: نرام سين ملك الجهات الاربعة. دار الشؤون الثقافية (بغداد – ١٩٩٠) ص ٣٩.

ان فرضية أور السومرية (المقير) هي ذاتها المذكورة في سفر التكوين (اور الكلدانيين)والتي كان عميدها السير ليونارد وولي، واجهت انتقادات وتناقضات عدة منها من داخل الاسفار التوراتية ومنها ادلة تاريخية تفند هذه الفرضية واخرى في المنهجية العلمية. ويمكن تلخيص هذه الاعتراضات مجتمعة في النقاط التالية:

١ – ان الموقع الجغرافي لمدينة أور السومرية في جنوب بلاد الرافدين تقع الى الغرب من نهر الفرات وهذا يتعارض مع أور الواردة في التوراة والتي يوضحها نص توراتي اخر ويضعها شرقي نهر الفرات كما جاء ذلك في سفر يشوع: " لقد اقام اجدادكم ومن جملتهم تارح ابو إبراهيم منذ القدم في شرقي نهر الفرات حيث عبدوا آلهة اخرى، فأخذت أباكم إبراهيم من شرقي النهر وقدته عبر ارض كنعان وكثرت نسله فاختاروا لانفسكم اليوم من تعبدون سواء الالهة التي عبدها آباءكم الذين استوطنوا شرقي نهر الفرات " [١]

٢ – ان ورود كلمة (الكلدانيين) بصفة النعت لأور يجعل الكلمة تفقد مدلولها المتناسق والمتزامن مع الكلدان، الذين لم يظهروا على مسرح التاريخ الا بعد حوالي ١٠٠٠ سنة من ظهور النبي ابراهيم الخليل؛ فلا يجوز تسمية المدينة باقوام لم يمروا عليها بعد. ومع ذلك فان انصار هذا الراي يقترحون بان اسم الكلدانيين أضيف الى النص التوراتي من خلال الكتبة اليهود لغرض الإيضاح المكاني.

٣ – من المعروف عن مدينة أور انها كانت ذات طابع سومري بحت حتى بعد سقوط اخر سلالة فيها (اور الثالثة ٢٠٠٦ ق. م.) أي ان الجنس البشري السومري كان هو العنصر الابرز فيها مع تواجد قليل للجزريين المعروفين بالبداوة والمستوى الحضاري الادنى من السومريين. وكما مر بنا فانها كانت تتميز بثوراتها ضد الحكم الأكدي الجزري، وهذا يعني ان إبراهيم الاموري (كما سياتي تبيانه) كان يتصف بالصفة الاساسية للاموريين بكونه راعياً . وهذا الأسلوب البدوي يتناقض مع المدنية السومرية المتحضرة (اور) لان السومريين يحتقرون البداوة ويصفونها بالهمجية والبربرية [٢].

٤ – فيما يخص المنهج الاثاري، ليس هناك أي دليل اثري واضح يشير الى ان أور السومرية هي موطن النبي إبراهيم الخليل ﷺ؛ وان المنقب وولي قد اطلق جزافا على احد بيوتات الشطر الجنوبي للمدينة (بيت إبراهيم) وهذا ما لايستند الى على أي دليل مادي ملحوظ. وقد رد على ذلك احد الآباء المسيحيين بقوله ": ولا احسب ذلك الا تخمينا أو ترجيحا شخصيا لا يعول عليه. " [٣].

- **فرضية مدينة حران وتفنيدها**

اما الموقع الثاني الذي يطرح كموطن اول للنبي إبراهيم الخليل ﷺ هو مدينة (حران =الرها = اورفا). وهذا الافتراض يتبناه العديد من العلماء البارزين مثل سيروس كوردن Cyrus Gordon وهيرشل شانكس Hershel Shanks؛ وكان انطلاقهم ايضا من النص التوراتي الوارد في سفر التكوين والذي يشير الى ان حران هي المدينة التي ابتدأ منها إبراهيم واهله رحلتهم نحو كنعان: "اترك أرضك وعشيرتك وبيت أبيك. . . فارتحل ابرام كما امره الرب ورافقه لوط وكان ابرام في الخامسة والسبعين من عمره عندما غادر حران"[٤].

[١] سفر يشوع. ٢٤: ٢ – ٣، ١٦.

[٢] صموئيل نوح كريمر: السومريون. تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم. ترجمة فيصل الوائلي؛ الكويت –١٩٧٣. ص٢٢١، ص٣٦٥.

[٣] يعقوب افرام منصور: ابراهيم ابو المؤمنين. مجلة بين النهرين. العدد ١٠٣ – ١٠٤. السنة ٢٦. ١٩٩٨. ص ٢٠٧.

[٤] سفر التكوين ١٢: ٤.

وحران أو حاران مدينة من مدن بلاد مابين النهرين تقع على نهر البليخ احد فروع نهر الفرات وعلى مسافة ٢٨٠ ميلا الى الشمال الشرقي من دمشق، وكانت مركزا تجاريا ومحطة مهمة للطرق الرئيسة بين بلاد بابل والبحر المتوسط. واسم حران مشتق من لفظة اكدية ومعناها (الطريق). والمدينة كانت ذات بيئة آرامية منذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد وتشترك مع مدينة أور السومرية (في العصور اللاحقة) بخاصية عبادة الاله القمر واعتباره الاله الرسمي للمدينة [١].

البعض من المؤرخين يحاولون جعل حران تطابق (اور الكلدانيين) معتمدين على جملة "ارضك وعشيرتك" يضاف الى ذلك بعض النصوص المسمارية التي ترقى الى القرن التاسع عشر قبل الميلاد مثل وثيقة شمش آرا shamsh ara التي عثر عليها في منطقة تقع على الحافة الشرقية للهلال الخصيب سميت (اورئو ura'u) وهي منطقة قريبة الى الخابور. فضلا عن ذكر لكلمة (اورا ura) في النصوص المسمارية التي تحدثت عن الفتوحات الاشورية خلال القرن الثامن قبل الميلاد وبالتحديد في زمن المللك الاشوري تجلاتبليزر الثالث في الجهات الشمالية الغربية القريبة من ديار بكر الحالية[٢]. واعتقد ان هذا الراي ضعيف لوجود اعتراضات عدة عليه وهي:

١- ان الاصحاح الذي يذكر ان إبراهيم عليه السلام ترك ارضه وعشيرته وانطلق نحو بلاد كنعان، يسبقه تماما اصحاحا يذكر فيه بداية رحلة إبراهيم عليه السلام واهله من أور الكلدانيين الى بلاد كنعان لكنهم استقروا مؤقتا في حران أي انها كانت بمثابة محطة توقف بالنسبة لإبراهيم الخليل عليه السلام. وهذا تقريبا باتفاق معظم الدارسين في حقل الدراسات التوراتية [٣].

٢- ان أور الكلدانيين لا يمكن ان تكون حران لان الاخيرة كما مر بنا ذات بيئة آرامية وان تواجد الكلدانيين في هذه المناطق الشمالية لبلاد آشور(بما فيها حران) لم يظهر الا بعد سقوط الدولة الاشورية ٦١٢ ق. م. اذ كانت حران اخر معقل للاشوريين ومن ثم دخلوها الكلدانيون المنتصرون. بعبارة اخرى ان حران طالما وصفت بالارامية وليس بالكلدانية على الرغم من ان البعض يرى في قبيلة (كلدو) فرع من الارامية وهذا ما لا يتفق مع الواقع التاريخي للآراميـين[٤].

٣ - ومما يؤكد ارامية حران وجود نصوص في سفر التكوين تلقبها بالقاب منها (الحقل) = حقل الآراميين أو سهل الآراميين (Phaddana Aram) كما نقرأ: " فقال الرب ليعقوب ارجع الى ارض ابائك ومسقط راسك [كنعان]. . . فقام يعقوب وحمل بنيه ونساءه على الجمال وساق جميع ماشيته التي امتلكها في فدان ارام"[٥] ونقرا ايضا: " والان خذ عدتك وجعبتك وقوسك واخرج الى الحقل [حقل الآراميين] وصد لي صيدا"[٦]؛ كما ان حران وصفت بكونها ارض استقرار (ناحور = اخ ابراهيم): " وقام ومضى الى أرام النهرين (ما بين النهرين) الى مدينة ناحور"[٧]؛ كما انها وردت وردت في سجلات ماري (تل الحريري) العائدة الى القرن الثامن عشر قبل الميلاد بصيغة (ناخور Nakhur) وتعرف اليوم بـ (تل ناخيري Til Nakhiri) وهي من اطراف مدينة حران. وبعبارة اخرى ان مدينة حران حتى لو اريد اطلاق لقب ما عليها فان هذا اللقب لايتماس مع لقب الكلدانيين.

---

[١] يوسف حبي: العراق ارض ابينا ابراهيم المقدسة. مجلة بين النهرين. العدد ١٠٣-١٠٤. السنة ٢٦. ١٩٩٨. ص١٩٤.

[2] Alan R Millrd: Where was Abraham's ur. www. biblicalarchaeology. org .

[٣] مجموعة من الباحثين: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ط ٤. لندن – ٢٠٠٢.

[٤] بي. أي. ديون: الاراميون في العصر الحديدي، التاريخ السياسي والبنى الاجتماعية. ترجمة الاب البيرأبونا ضمن اعداد مجلة بين النهرين. العدد ١٢٧ – ١٢٨. السنة ٣٢. ٢٠٠٤، ص ١٨٠.

[٥] سفر التكوين ٣١: ٣، ١٧ – ١٨.

[٦] سفر التكوين ٢٧: ٣.

[٧] سفر التكوين ٢٤: ١٠.

٤ – قد يكون النسب الذي الصق بالنبي ابراهيم الخليل (الارامي) هو الذي جعل الباحثين ينسبون (حران) الارامية موطنا له. وفي الواقع ان إبراهيم الخليل ﷺلم يكن اراميا كما يعتقد اليهود معتمدين على النص الوارد في سفر التثنية: ". . . ثم يعلن صاحب التقدمة امام قائلا امام الرب: كان ابي آراميا تائها ثم انحدر الى مصر وتغرب هناك ومعه نفر قليل ولكنه اصبح هناك امة عظيمة " [١]. والمرجح كثيرا ان ابراهيم كان اموريا، بل انه كان زعيما اموريا كما يقول السير ليونارد وولي، لان الموجات الامورية والجنس البشري الاموري كان الابرز والاكثر انتشارا في بلاد الرافدين وبلاد الشام في فترة بداية الالف الثاني قبل الميلاد وهي الفترة التي عاصرها النبي إبراهيم الخليل ﷺ؛ ولم يكن للاراميين أي ذكر تاريخي بعد، وهذا ما يؤكده النص التورآتي: " لنسـلك [إبراهيم] اعطي هذه الارض من نهر مصر الى النهر الكبير ن نهر. الفينيقيين والقنزيين والقدوميين والحيثيين والفرزيين والرفائيين والاموريين والكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين"[٢] وما يلاحظ في هذا النص (الطبوغرافي) انه ذكر الاقوام المنتشرة بين مصر ونهر الفرات في فترة حياة النبي ابراهيم ولم يرد ذكر للاراميين وذلك لانهم لم يكونوا قد ظهروا بعد في المنطقة؛ اذ ان اقدم انتشار لهم يرجع الى القرن الثاني عشر والحادي عشر قبل الميلاد كما ورد في نصوص الملك الاشوري تجلاتبليزر الاول (١١١٦ – ١٠٩٠ ق. م) والملك الاشوري أشور بل كالا الاول (١٠٧٣ – ١٠٥٦ق. م)[٣].

ومما يثبت آمورية ابراهيم على اراميته اسماء ابنائه اسماعيل واسرائيل =يعقوب (عليهم السلام) اذ يلاحظ استخدام لفظة (إيل) والتي تعني (الله/الاله) وهذا اللفظ كان مستخدما من قبل البابليين (الاموريين) في تركيبات اسماء اعلامهم ومفرداتهم مثل إشطب إيل ishtup – il مؤسس سلالة ماري الامورية [٤]. في حين هذه اللفظة لم تكن اصيلة عند الاراميين الاراميين بل ان الاله (إيل) كان من جملة الالهه التي استعارها الآراميون من الاقوام المجـاورة لهم في فترات تاريخية لاحقـة ودخلت في تركيب أسماء الاعـلام مثل ركب – إيل (ركـاب) [٥].

فيما يخص مدينة كوثى فان هناك عدد من الاشارات المتنوعة في المصادر المختلفة تشير وبقوة الى ان هذه المدينة كانت موطن النبي ابراهيم الخليل عليه السلام منها مصادر مسمارية واخرى جغرافية وهناك روايات إخبارية إسلامية تعزز من هذا الادعاء وهي كالاتي.

يرى المسعودي ان أور الكلدانيين من اطراف بابل كما اورد في نص العنوان (ذكر ملوك بابل وهم ملوك النبط وغيرهم المعروفيين بالكلدانيين) [٦] ويؤيد هذا الراي الشيخ محمد جواد مغنية بقولة: " بعد ان انجاه الله من كيد قومه هاجر من بلده أور الكلدانيين– بابل – الى بلاد الشام " [٧]. ويذكر الدكتور احمد سوسه: " مع اختلاف الباحثين في تعيين مكان ولادة ابراهيم الخليل ﷺ فان اكثرهم متفق على انه كان في كوثى قرب بابل " [٨].

وروي عن ابي محبوب عن ابراهين بن ابي زياد الكرخي قال: سمعت ابا عبد الله (جعفر الصادق عليه السلام) يقول: "ان ابراهيم عليه السلام كان مولده بكوثى ربا، كانت قرية من اعمال الكوفة [في العصر الإسلامي]وكان ابه من

---

[١] سفر التثنية ٢٦: ٥.

[٢] سفر التكوين ١٥: ١٨ – ٢٠.

[٣] ديون: الاراميون. مجلة بين النهرين. العدد ١٢٥ –١٢٦. السنة ٣٢. ٢٠٠٤. ص٧٦.

[٤] هاري ساكز: عظمة بابل. ص ٨٤.

[٥] طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات. ج ٢. ص٢٨٠.

[٦] علي بن الحسين المسعودي: مروج الذهب. ط٤. مصر ١٩٦٤. ج ١، ص ٢١٥.

[٧] محمد جواد مغنية: الكاشف ط١. بيروت – ١٩٦٨. ج ٥، ص٢٨٥.

[٨] احمد سوسة: تاريخ حضارة وادي الرافدين. بغداد– ١٩٨٦. ج٢. ص٣٣١.

اهلها"[١]. وفي المعنى نفسه اورد المجلسي مانصه: " كوثى ربا كانت قرية من قرى الكوفة كما ذكره المؤرخون والذي ذكره اللغويون هو كوثى. قال الجزري كوثى العراق هي سرة السواد وبها ولد ابراهيم الخليل عليه السلام"[٢].

وذكر محمد بن سيرين : سمعت عبيدة يقول سمعت عليا –عليه السلام – يقول: من كان سائلا عن نسبتنا، فإنا نبط من كوثى. وروي عن ابن الأعرابي أنه قال: سأل رجل عليا –عليه السلام – فقال: أخبرني يا أمير المؤمنين عن أصلكم، معاشر قريش، فقال: نحن قوم من كوثى. واختلف الناس في قوله: نحن قوم من كوثى، فقالت طائفة: أراد كوثى العراق، وهي سرة السواد التي ولد بها إبراهيم –عليه السلام – وقال آخرون: أراد كوثى مكة، وذلك أن محلة بني عبد الدار يقال لها كوثى، قال أبو منصور: والقول الأول هو الأدل لقول علي –عليه السلام –: فإنا نبط من كوثى، ولو أراد كوثى مكة، لما قال نبط، وكوثى العراق هي سرة السواد من محال النبط، وإنما أراد – عليه السلام – أن أبانا إبراهيم كان من نبط كوثى وأن نسبنا انتهى إليه، ونحو ذلك ؛ قال ابن عباس : نحن معاشر قريش حي من النبط، من أهل كوثى، والنبط من أهل العراق. قال أبو منصور: وهذا من علي، وابن عباس ، عليهم السلام" [٣].

ان هذه الروايات التاريخية الإسلامية على الرغم من عدم انتشارها (لسبب ما) فان هناك عدة اعتبارات تاريخية ولغوية ونصوص توراتية ترجح كفة (كوثى) باعتبارها مسقط راس ابراهيم الخليل ﷺ والمقصودة في عبارة أور الكلدانيين وهذه الاعتبارات كالآتي:

١– على صعيد النسب التاريخي كان ابراهيم الخليل أموريا – كما مربنا – وتشير الشواهد التاريخية ان الآموريين في هجراتهم نحو بلاد الرافدين اكثروا في استقرارهم وتجمعهم في بابل وما جاورها من المدن حتى انهم أسسوا أقوى سلالة خلال العصر البابلي القديم (الذي عاصر ابراهيم بداياته) وهي سلالة بابل الاولى؛ ويتصل في هذا السياق ان مدينة كوثى هي من اكثر المدن التي ارتبطت ببابل حتى غدت جزءا منها أو من اطرافها. وان الأقوام التي سكنت في بابل هي الاقوام نفسها التي سكنت في كوثى وذلك للاتصال الجغرافي والتشابه البيئي والقرب المكاني بين بابل.

٢ – ان تعيين مكان مدينة أور الكلدانيين في بلاد الرافدين يحتاج الى تفكيك هذه العبارة ونبدأ بكلمة (أور) والتي يرجع اصلها الى اللغة السومرية ($uru_2{}^{ki}$ – iri – iri $_{11}$) والتي تعني مدينة أو بلدة أو قرية [٤]. وقد تسربت هذه الكلمة الى اللغات الجزرية (السامية) عن طريق احتكاك اللغة السومرية باللغة الأكدية (البابلية والاشورية)؛ وتذكر عدد من النصوص المسمارية باللغة الايبلائية (القريبة جدا من الأكدية) والتي ترقى الى الالف الثالث قبل الميلاد بعض الكلمات كثل اورا – اورو ura– uru كمفردات تتبع اسماء الاماكن والاحياء القريبة والمجاورة لمدينة ايبلا[٥]، اما في نصوص الالاخ (تل العطشانة حاليا) فهناك اشارات تعود الى ١٤٠٠ ق. م. لاسم قرية تقع الى الطرف الغربي من المدينة سميت بـ (اورِ ure). فضلا عن ظهور اسماء لقرى وبلدات في حوالي ١٤٥٠ ق. م. ترتبط ايضا بالالاخ مثل (اوري uri)، (اورا ura)، وكلها تقع ضمن محيط مدينة الالاخ [٦].

---

[١] محمد بن يعقوب الكليني: الكافي. ج٨. باب ٨. رواية ٥٦٠.

[٢] المجلسي: بحار الانوار. ج ١٢. باب ٢. رواية ٣٨.

[٣] ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب. دار صادر(بيروت – ٢٠٠٣) حرف الكاف/مادة كوثى.

[٤] Halloran , Joan. a: Sumerian lexicon. Letter (u) www. sumerian. org.

[٥] Alan R. Millard: Where was Abraham's ur.

[٦] للتفصيل حول هذه الاشارات ينظر. Donald J. Wiesman: The Alalakh Tablets. (London – British) Institute of Archeology at Ankara. 1953.

اما في سجلات دويلة ماري (الامورية) نجد هناك اسماء لمدن ترتبط بها كلمة (أور= مدينة) تقع على جوانب المدينة الرئيسة ماري (Great (uri المدينة الكبيرة و Small uri المدينة الصغيرة (البلدة)[١]. وربما قصد من النص التسلسل الإداري للمدينة على غرار العاصمة– البلدة – القرية، أو ما شابه ذلك.

على هذا الاساس يتضح لنا ان كلمة (اور uru) أو ما شابهها مع اختلاف لفظها في اللغات الجزرية، قصد منها القرى أو الضواحي القريبة من المدن لو المراكز الحضرية البارزة. اذن فالمقصود من أور الكلدانيين هي بلدة أو مدينة الكلدانيين، لكن كيف ينطبق هذا على مدينة (كوثى).

٤ – ان المتمعن في خارطة العراق القديم يلاحظ ان كوثى ملتصقة تماما بمدية بابل من جهة الشرق كما لو كانت احدى ضواحيها؛ وقد شكل الكلدانيون في بابل وكوثى مركزا للمعارضة ومصدر ازعاج للسلطة الاشورية في عصر الامبراطورية الاشورية الثانية وهي الفترة التي برز فيها الكلدانيون سياسيا في بلاد الرافدين. حتى غدت تعرف هذه الظاهرة ب (المشكلة الكلدانية)، وهي ان الكلدانيين اخذوا يتحركون من مناطق (ارض البحر) نحو الفرات محاولين السيطرة على المدن القديمة، حتى تمكنوا في زمن زعيمهم المدعو أوكن – زير ٧٣٤ ق. م. من احتلال بابل ولاول مرة في تاريخ الكلدانيين منطلقا من مستوطن الكلدانيين القريب من بابل (كوثى)[٢]، ولكن بعد ثلاث سنوات استطاع الآشوريون من ارجاع بابل الى الحظيرة السياسية المركزية، وكان ذلك في أواخر عهد الملك تجلاتبليزر الثالث(٧٤٥ – ٧٢٧ ق. م) وبداية حكم الملك شلمناصر الخامس (٧٢٧ – ٧٢٢ ق. م)[٣].

ويذكر ان بلاد بابل قد انقسمت على نفسها في مقاومة هجوم الاشوريين [٤]، اذ لم تساند المدن البابلية الاخرى الكلدانيين في في معركتهم ضد الاشوريين سوى مدينة كوثى والتي يبدو انها كانت تمثل اهم مدينة بابلية للكلدانيين؛ الامر الذي اضطر الملك الاشوري شلمناصر الخامس ان ينفي أسرى الكلدان من بابل وكوثى (معقل الكلدانيين) الى مدينة السامرة في فلسطين ويحلهم محل الاسرائيليين (المنفيين ايضا) بعد ان سقطت دولتهم على يد الملك نفسه شلمناصر الخامس. وهذا ما يؤكده النص التوراتي المهم الذي يتحدث عن سقوط دولة اسرائيل الشمالية وعاصمتها السامرة في سفر الملوك الثاني:

"ونقل ملك آشور أقواما من بابل وكوث وعوا وحماة وسفروايم واسكنهم مدن السامرة محل بني اسرائيل. . . فعبد القدمون من بابل اصنام إلههم سكوّث بنوث، وعبد القادمون من كوث اصنام إلههم نرجل [نركال] " [٥].

ولا يخفى عن احد ان كتبة اسفار التوراة خلال فترة السبي البابلي الثاني ٥٨٦ ق. م كانوا على مقربة زمنية من سير هذه الاحداث وافرازاتها وتسمياتها.

٥ – على صعيد علم الاثار فان بعض المكتشفات الحديثة قد اتفقت مع القرآن الكريم حول مسالة تحريق ابراهيم الخليل عليه السلام فقد جاء بالاية الكريمة مانصه: " {قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ}[٦]، اذ كشف المنقبون في مدينة (بورسيبا)التي تقع جنوب مدبنة بابل وتعرف اطلالها اليوم باسم بيرس نمرود، كشفوا عن وجود كتل غير عادية من الاجر المزجج حول اسفل برج المدينة وكان شاهدا على استعمال

---

[1] Alan R. Millard: Where was Abraham's ur .

[٢] هاري ساكز: قوة آشور. ترجمة عامر سليمان. لندن – ١٩٨٤. ص ١٣٢ – ص١٣٤.

[٣] م. ن. والصفحة.

[٤] م. ن. والصفحة.

[٥] سفر الملوك الثاني ١٧: ٢٤، ٣٠.

[٦] سورة الانبياء: الاية ٦٨– ٦٩.

حرارة هائلة يصعب تفسيرها[١]، وكان يعتقد ان هذا البرج هو برج بابل الذي تعرض للحريق؛ الا ان بعد الكشف عن اثار برج بابل اتضح بان ذلك كان خطأ حتى مجيء احد الباحثين الانكليز وهو ج. س. بكنغهام الذي زار بابل عام ١٨١٦م واستطاع ان يثبت ان بابل كانت ممتدة باراضيها الى مدينة بورسيبا [٢]. وتكاد تكون كوثى وبابل وبورسيبا اقليم واحد متصل ببعضه جغرافيا الا انها منفصله عن بعضها إداري اً؛ كما ان تسمية برج بورسيبا (وهو المعبد الخاص بالاله نابو) باسم بيرس نمرود قد يشير الى ماذكره الاخباريون عن الملك(نمرود) الذي حاج ابراهيم في ربه.

٦ – ولكي نزيد من قوة هذا الرأي (كوثى = أور الكلدانيين) نستنطق الجانب الجغرافي المنصوص في التوراة والذي يؤكد بان الموطن الاول لابراهيم ﷺ (اور الكلدانيين) كان يقع الى الجانب الشرقي من نهر الفرات، اذ نقرأ عن ذلك: " لقد اقام اجدادكم ومن جملتهم تارح ابو ابراهيم منذ القدم في شرقي نهر الفرات حيث عبدوا آلهة اخرى فأخذت أباكم إبراهيم من شرقي النهر وقدته عبر ارض كنعان وكثرت نسله. " [٣].

وكوثى قريبة جداً من نهر الفرات وتقع الى الشرق منه. وقد يفترض احداً ان حران هي المقصودة من ذلك؛ وهذا غير ممكن لان حران لاتنطبق عليها الاحداث التاريخية – السالفة الذكر – التي انطبقت على مدينة كوثى. فضلا عن ان مدينة حران لم ترتبط نهريا بنهر الفرات وانما بنهر الخابور الذي يقع الى الغرب من المدينة. اما أور السومرية فقد مر بنا تبيانها بعكس المطلب.

اذن من خلال ما تقدم يصبح لدينا من المعقول جدا ان موطن النبي إبراهيم الخليل ﷺهو مدينة كوثى (تل إبراهيم) والتي عبر عنها بلفظة أور الكلدانيين في سفر التكوين عند الحديث عن موطن إبراهيم ﷺ الاول. واترك المجال للباحثين في القاء الضوء على ادلة أو إثباتات تاريخية أو نقوش نصية جديدة قد تثبت عكس ما تقدم من رأي أو قد تعزز من صحته وثبوته.

ولله الكمال أولا وآخراً

[١] نيكولاس بوستكيت: حضارة العراق واثارة تاريخ مصور. ص ٣٦.

[٢] م. ن والصفحة.

[٣] سفر يشوع ٢٤: ٢ – ٣.